ليبيا
أفريقيا
أنجولا

العلاقات بين المهدية والسنوسية

دكتور أحمد ابراهيم دياب

مترجم عن الإنجليزية ترجمة : صبرى ابراهيم

إن الغرض من هذا البحث هو مناقشة العلاقات بين الحركة المهدية فى السودان والحركة السنوسية فى ليبيا فى نهاية القرن التاسع عشر ومع ذلك فقد يكون جديراً بالذكر أن نبدأ بنبذة مختصرة عن أصول الحركة المهدية وتطورها التاريخى.

كلمة المهدى(١) «الشخص المهتدى» لم يرد ذكرها فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والبخارى والتى تعتبر الأسانيد الصحيحة الموثوق بها المتفق عليها بالاجماع فى أمة الأسلام. هذه اللفظة حينما يجيء ذكرها فى أحاديث أخرى إنما تعنى سليل النبى الذى سيظهر فى نهاية الزمان ويحكم العالم بالإنصاف والعدل (بمعنى أن العالم لن يفنى حتى يحكم أمتى واحد من بيتى يتفق إسمه مع إسمى». وقد رفض إبن خلدون وغيره من العلماء فى العصور الأولى فكرة المهدى(٥) وقالوا بأنها باطلة ولايؤيدها سند من القرآن أو السنة وبرغم هذه الأعتراضات تطورت فكرة المهدية الى معتقد شعبى مازال التمسك قائما به بشدة حتى يومنا هذا. ففى وقت يحدث فيه تفسخ فى العقيدة أو اضطرابات سياسية يقوم شخص ورع بمهمة المهدى المنتظر يعيد فيه تنظيم الدواة سلميا أو بقوة السلاح. والأمثلة كثيرة فى التاريخ الأسلامى لمن أسموا أنفسهم بأسم «المهدى». ومن ثم فان من يسمون أنفسهم بالمهدى يظهرون عادة فى أوقات تتفشى فيها الفوضى فى المجتمع الأسلامى. وقد ظهر «المهديون» أيضا فى أوقات الأستقرار ويرجع ذلك الى الشعور السائد

بأن العاهل يجب أن يكون سليل النبى ﷺ أو منحدرا من سلالة سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه.

وهناك عرف بين المسلمين مفاده أنه فى نهاية كل قرن هجرى وعند بداية قرن هجرى جديد يظهر مصلح فى العالم الأسلامى وكلما زادت أحوال المسلمين تدهورا كلما زاد توقع مقدم المهدى.

والشيعة هم أول من تبنى فكرة «المهدية» حينما تبددت آمالهم على يد الأمويين فى تولى أمر المسلمين عقب إنتهاء عهد الخلفاء الراشدين، وسرعان ماتبناها السنيون أيضا.(٨) ولكن الخلاف الرئيسى فى الرأى بين الشيعة والسنية تجاه فكرة المهدية هو أن السنية تعتقد فى ظهوره كرجل عادى وظيفته كمصلح وغاز يعمل على إعادة العقيدة الى نقائها فى العصر الأول للأسلام(٩) بينما تساوى الشيعة المهدى مع «الأمام المختفيٍ» الذى يخفى نفسه لفترة غير محددة(١٠) وتكون عودته (١١) كمعيد لبيت النبى قيادة أمر المسلمين.(١٢)

وفى القرن الثامن عشر تدهور حال المسلمين الى أغوار فقد معها المجتمع الأسلامى كل علامات الصحة والنشاط. إن مشاعل الحضارة والعلم التى كانت سمة المسلمين فى العصور الوسطى قد اختفت أو أصبحت تغدو غاية فى الوهن والضعف وانتقلت الى أيدى الآخرين.

وفى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ظهر مصلح دينى يدعو إلى التمسك التام بأهداب الدين والأخلاق الفاضلة فى قلب شبه جزيرة العرب ممثلا فى شخص محمد بن عبد الوهاب. وقد ناصره ابن سعود حاكم نجد الذى أعطى الحركة تأييدا سياسيا وماديا إلى أن دانت لها نجد ووجدت لها أنصارا حتى فى غيرها من الأقطار الأسلامية. والحركة الوهابية فى جوهرها حركة إصلاح دينى يعود بالدين الى صفائه ونقائه وطهارته وتدعو الى القضاء على البدع والخرافات التى رانت على بساطة الأسلام الحقيقية.

كما ظهرت حركة إحياء دينى أكثر تنظيما حوالى منتصف القرن التاسع عشر على هيئة جمعيات إخاء صوفية. وكانت أربع جمعيات إخاء منها تقصر نشاطها على الأمور الدينية فحسب ولا تقوم بعمل سياسى. ومن أبرز هذه التنظيمات السنوسية التى أسسها محمد

ابن على السنوسى فى «البيضاء» حيث بنى أول زاوية له. وقد حمل إبنه لواء الدعوة من بعده حيث قال أن والده أخبر تابعيه أن إبنه سيكون «المهدى المنتظر» ولذلك سماه «محمد المهدى»(١٦).

كان برنامج السنوسى يدعو إلى إصلاح تدريجى وسلمى يهدف الى توحيد المسلمين الأفارقة ومن بعدهم المسلمين فى القارات الأخرى تحت لواء إمامة ثيوقراطية تضم كافة المؤمنين الحقيقيين أو مايسمى بعبارة أخرى بالحركة الأسلامية الشاملة وقد دأب المهدى السنوسى بأصرار على الأستمرار فى سياسة تغطية ا لشمال الأفريقى بزوايا جمعيات الأخاء وتمكن من هداية الزنوج فى الجنوب الى الأسلام على مذهب مالك ولكنه لم يقل بأنه المهدى المنتظر كما ذكر والده وأتباعه.

وفى القرن التاسع عشر ظهرت حركة «الأسلامية الشاملة» برئاسة جمال الدين الأفغانى الذى دعا الى ضرورة إتحاد الدول الأسلامية والدفاع عن نفسها ضد عدوان الدول المسيحية التى تستخدم التكنولوجيا الغربية.

وقد تأثر المهدى «السودانى» بهذه الحركات الخارجية حيث كانت هناك إتصالات مباشرة وغير مباشرة بين السودان والحجاز وشمال أفريقيا وغربها عن طريق الحجاج والعلماء الزائرين بينما كان الطلاب السودانيون يشقون طريقهم صوب مكة والمدينة والقاهرة (للدراسة بالأزهر). ذكر «هولت» أن بعض هؤلاء الطلبة الأزهريين السودانيين لعبوا دوراً فى الحركة المهدية.(١٨) ومثلما فعل محمد بن عبد الوهاب فقد حاول محمد أحمد «المهدى السودانى» إحياء العقيدة بالعودة الى الأسلام فى عهدة الأول. وكانت الحركة مبنية على أساس تجربة دينية كان يؤمن بها جداً ومنذ بداية نشأتها إتسمت الحركة بأفكار سياسية وأجتماعية والتى لايمكن فصلها فى الشرق عن العقيدة. وقد إستقى إلهامه مباشرة من القرآن الكريم ينبوع الدين. وألغى المذاهب وبذلك نأى بنفسه عن الطبقات المتعلمة وبالنسبة إليه فانه لا صحة ولا شرعية إلا لأقواله بالاضافة إلى القرآن والسنة – (الراتب) (١٩) وبالاضافة الى ذلك فقد ألغى عبادة الأولياء وممارسة الشعوذة برغم صيرورته معبودا من جانب أتباعه حتى من قبل وفاته.

وفى حوالى عام ١٨٨٠ وبعدها نرى بدء يقظة عربية فى سوريا تهدف الى حكم

السوريين لأنفسهم وانسلاخهم عن الترك سواء كان ذلك على أسس قومية، عنصرية، أو دينية.

أما الحركة المهدية فيجب النطر اليها على أساس أنها حركة قومية حشدت التأييد لها على اسس دينية. وأن أى حركة ثورية يقيض لها النجاح لاسيما إذا كان هناك سخط عام ليس وقفا على طبقة واحدة أو مجموعة إقليمية وإنما يسود المجتمع برمته ويكون مرد ذلك إلى ظلامات محددة وليس بسبب ضيق أو إستياء غامض. وقد عدد شقير(٢٠) وآخرون أسباباً كثيرة أخرى للمهدية ولكن برغم كل هذه الأسباب فان إنتحال محمد أحمد للمهدية يأتى من إعتقاد داخلى بالاضافة الى احاطته بالتوقعات المهدية الشعبية. بدأ بدراسة التنبؤات التقليدية الخاصة بالمهدى وتطبيقها على نفسه. وقد نجم الأعتقاد بأنه المهدى عن سلسلة من الرؤى ونقل سر إصطفائه الآلهى إلى مريديه فى مارس ١٨٨١ (١٢٩٨هـ)(٢١). وفى يونيو ١٨٨١ أعلن بأنه المهدى وبظهور المهدية له على جزيرة أبا التى أرسل منها خطابات الى عدد من الأشراف متخذا لنفسه لقب محمد المهدى ودعا مريديه الى الالتفاف حوله.

وكان المهدى يهدف بوضوح الى محاكاة السبيل الذى سار عليه النبى حيث قد هاجر من «أبا» التى حضر إليها أولا الى «غدير» فى جبال النوبة وهناك خصص أربعة كراس لأربعة أشخاص يمثلون صحابة النبى البارزين والذين أصبحوا فيما بعد الخلفاء الراشدين. فكرسى أبو بكر الخليفة الأول شغله عبد الله التعايشى الذى أصبح مشهورا فيما بعد بأنه خليفة المهدى. وكان على واد محمد هلو خليفة عمر خليفة الفاروق وقريب المهدى نفسه. وكان محمد شريف بن حميد خليفة على صهر النبى وابن عمه الخليفة الكرار. وكانت تأتى هذه التعيينات وفقا لتعليمات تنقل إليه فى رؤية نبوية.

«ثم جاءت الرؤية الكبيرة حيث عين النبى خلفاء خلفائه من رفقائه. وكلف أحد رفقائى بالجلوس على كرسى أبى بكر الصديق وآخر على كرسى عمر...».

وقد ظل أحد الكراسى شاغراً وهو كرسى خليفة «عثمان» ثالث الخلفاء الراشدين. وقد ذكر هولت بأن المهدى كتب يدعو محمد المهدى إبن السنوسى رئيس الطريقة السنوسية فى جغبوب لقبول هذه المهمة فى ٥ رجب من عام ١٣٠٠هـ (١٢ مايو من عام ١٨٨٣م) بعد أن استولى المهدى على الأبيض.(٢٤)

ويقول « وينجيت » :

«لم يكن محمد أحمد ليرضى بأى تأخير فى رد السنوسى وخلص إلى أن خطابه الأول لم يؤت ثماره. وأدرك أهمية التعاون مع هذه الجماعة الدينية القوية ولذلك توجه بخطاب آخر إليه يناشده شغل كرسى الخليفة الشاغر»(٢٥) كان وينجيت هو الوحيد الذى قال بأن هناك خطابين وهو أمر لم يرد ذكره على لسان غيره (على سبيل المثال: هولت، شبيكة وأبو سليم)(٢٦).

وبالرجوع الى «المرشد لوثاق المهدية»(٢٧) وجدت خطابا واحداً فقط رقمه ١١٣ وتاريخه ٥ رجب ١٣٠٠هـ (مايو ١٨٨٣) فى صفحة ٧٠ ذكر فيه المهدى بأنه أرسل خطابا قبله «كتبنا اليك... ولكن لم ترد على ولذا أستطيع أن أفترض بأن خطابى لم يصلك...»(٢٨) ومن هذا الخطاب الواضح نستنتج بأن المهدى أرسل خطابين الى السنوسى.

لم يصل الخطاب الأول الى السنوسى حيث إستولت عليه السلطات المحلية فى فزان وسلمته الى الوالى التركى فى طرابلس الذى أرسله بدوره الى السلطان فى تركيا. وظهر هذا جليا فى الخطاب الذى بعث به القنصل البريطانى العام فى طرابلس الى وزير الدولة للشئون الخارجية البريطانية(٣٠) كما أرسلت القنصلية البريطانية خطاباً آخر فى ٩ نوفمبر ترجم فيه بعض أجزاء من خطاب المهدى وقال بأن الوالى بعث بالخطاب الى السلطان.(٣١)

الخطاب الثانى الذى يرد نصه فيما يلى حمله رجل يدعى طاهر ولد إسحق وذلك حسب رواية «سلاتين» و «شقير»(٣٢).

خطاب المهدى الثانى الى السنوسى :

« بسم الله الرحمن الرحيم » الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن عبد ربه الفقير محمد المهدى بن عبد الله إلى حبيبه فى الله الخليفة محمد المهدى بن الوالى السنوسى فيا أيها الحبيب الواقف على سنة النبى الأديب المرشد المرقى العباد إلى مقام التقريب قد كنا ياحبيبى ومن معنا من الأعوان ننتظرك لأقامة الدين قبل حصول المهدية للعبد الذليل وقد كاتبناك لما سمعنا بأستقامتك ودعايتك إلى الله على السنة النبوية وتأهبك لأحياء الدين بأن نصير إليك ونجتمع معك فلم ترد إلينا المكاتبة واظن عدم

وصولها اليك حتى إنى ذاكرت جميع من إجتمعت معهم من أهل الدين والشيوخ والأمراء المعينين فابوا ذلك لهوان الدين عندهم وتمكن حب الوطن والحياة فى قلوبهم وقلة توحيدهم حتى بايعونى الصعفاء على الفرار بالدين واقامته على ماطلب رب العالمين وقنعت نفوس من بايعنا من الحياة لما يرون للدين من الممات ولازال المساكين الذين لم ينالوا فى الله بما فاتهم من المحبوب يزدادون وفيما عند الله يرغبون حتى هجمت المهدية وهداى من الله ورسوله على العبد الحقير والله هو الفاعل المختار الذى هو على كل شيء قدير فأمرنى رسول الله ﷺ أن أكاتب بها الشرق والغرب من غنى أو فقير فصدق بها من أراد الله سعادته وكذب بها الأشقياء وصاروا فى التكبر مع أن النبى ﷺ مرارا بالجلوس على كرسيه والبسنى سيفه بحضرة الخلفاء والأولياء والأقطاب والملائكة المقربين والخضر عليه السلام وأعلمت أنه لاينصر على أحد بعد إتيان سيف النصر الى من حضرته ﷺ ولازال التأييد من الله ورسوله يزداد وانت منا على بال حتى جاءنا الأخبار فيك من النبى ﷺ انك من الوزراء لى ثم لازلنا ننتظرك حتى أعلمنا النبى الخضر عليه السلام بأحوالكم وما أنتم عليه ثم حصلت حضرة عظيمة عين فيها النبى ﷺ خلفاء خلفائه من أصحابى فجلس أحد أصحابى على كرسى أبى بكر الصديق وأحدهم على كرسى عمر وأوقف كرسى عثمان وقال هذا الكرسى لابن السنوسى إلى أن يأتيكم بقرب أو طول وأجلس أحد أصحابى على كرسى على رضوان الله عليهم أجمعين ولازالت روحانيتك تحضر معنا فى بعض الحضرات مع أصحابى الذين هم خلفاء خلفاء رسول الله ﷺ وأعلم وأن كان لايخفى عليك أن المهدية كعلم الساعة لايعلمها على الحقيقة إلا الله كما بينه المحققون كالسيد أحمد بن إدريس فانه قد قال كذبت فى المهدى أربع عشرة نسخة من نسخ أهل الله وقال سيخرج من جهة لا يعرفونها وعلى حال ينكرونها وكذلك قال محى الدين فى بعض تفاسيره إلى غير ذلك من أقاويل المحققين ولاسيما وأن المهدية لاتدعى لكثرة أعدائها وقوتهم وعلى أنها لما ظهرت أنا بين أظهرهم فى أشد الضعف والقلة فلولا أنها من الله تعالى لما مكثنا فى الدنيا يوما واحداً من شدة قوتهم وضعفنا وهم محتاطون بنا من كل جانب فألقى الله فى قلوبهم الرعب وصدهم بالخيبة وقد أمرنا النبى ﷺ بالهجرة الى جبل بالغرب يقال له قدير بلصق جبل يقال له ماسة فجمعوا جموعهم إلينا مراراً فقتلهم الله واحرق جلودهم بالنار يرى ذلك الخاص والعام علامة لشقاوة من أنكر مهديتى وقد أعلم ﷺ أن من شك فى مهديتى كافر وكررها ثلاثا ومراراً يقول من أنكر مهديتى ومن خالفنى فأبى أمرى كافر فمن أراد الله له السعادة وصدق بمهديتى ومن لاجعل الله له شكوكا وشبها تصده عن الأيمان بمهديتي فيتخذ له الله فى الدنيا قبل الآخرة إلا من أراد

الله تعالى له الهداية بعد فأذا بلغك جوابى هذا إما أن تجاهد فى جهاتك إلى مصر وجهاتها أو تهاجر إلينا والسلام. ٥ رجب سنة ١٣٠٠هـ.(٣٣)

يتفق كل من شقير وسلاتين(٣٤) على أن هذا الخطاب قد وصل الى السنوسى ولكن لم يصل رد إلى المهدى. وأشار شقير بأن السنوسى أخبر الموفد «أن يخبر محمد احمد بأنه لا أحد من كلينا يعادله مكان على الأرض سار عليه عثمان.(٣٥) وقد ذكرت بعض المصادر مثل «دائرة المعارف» العربية بأن السنوسى رفض المنصب وأخبر تابعيه بأن يظل سلطانا ودعى على سلبيته وان المهديين إذا هاجموه فلابد عليه من حماية نفسه.(٣٦)

وحول هذه النقطة قال القنصل البيطانى فى طرابلس فى خطاب مؤرخ فى ٢٢ أبريل سنة ١٨٨٩ «كان الشيخ السنوسى دائما ينكر المهدى وخليفته الحالى ويصفهما بأنهما محتالان وأخبر سلطان «ودعى» برفض مطالب الخليفة قائلا له أن سلطان تركيا هو خليفة الاسلام الحقيقى». (٣٧)

وهذا يعنى أحد أمرين: إما أن يكون السنوسى عالماً بقوة المهدى ولايريد أن يفقد أتباعه فى منطقة بحيرة تشاد إذا ما ناصب المهدى العداء ولذا ألتزم موقف السلبية أو أنه لم يرد أن يخسر علاقاته الودية مع.الأتراك لأن السلطات التركية احتفظت بعلاقات ودية معه وكان الوالى يتصل به من وقت لآخر وأخبر القنصل البيطانى «بأن السنوسى مخلص للسلطان ويعترف بجلالته كالزعيم الروحى للأسلام».(٣٨)

وقد حاولت وزارة الخارجية البيطانية الأستفادة من إخلاص السنوسى للسلطان وذلك بسؤالها القنصل العام والسفارة فى القاهرة إذا كان من الممكن للسنوسى أن يعلن نفسه حقاً المهدى، حتى تعلن أن مهدى السودان مزيف(٣٩) ولكن لم تنجح هذه الفكرة لأن السنوسى أعلن أنه ليس «المهدى» وأنه لن يعلن نفسه «المهدى».

وجاءت المحاولة البيطانية الثانية من الجنرال وينجيت مدير إدارة المخابرات فى الجيش المصرى وذلك فى مذكرته المؤرخة فى ٦ أبريل سنة ١٨٨٩ الى سير إ. بيهنج (لورد كرومر فيما بعد) – الذى بعثها بدوره الى وزارة الخارجية البيطانية واقترح «أنه يبدو أن الوقت قد حان لأتخاذ بعض الخطوات بهدف أكتشاف المقاصد الحقيقية للسنوسى وتوجيهه إذا أمكن إلى السبيل الأكثر مناسبة لسياسة الحكومة المصرية.

وفى حالة إتخاذ مثل هذه المبادرة فان ذلك يتطلب مهارة كبيرة وحذرا جماً وعن طريق مساندة الحكومة المصرية بالثقل الكامل للهيئات الدينية الاسلامية.(٤١) ولم يفلح سعى وينجيت ضد الثورة المهدية فى السودان ولكن تمكنت الحكومة البريطانية من توجيه السنوسى فيما بعد الى حظيرة السياسة البريطانية. واستمرت العلاقات بين البريطانيين والسنوسى حتى توجت السلطات البريطانية محمد ادريس محمد المهدى السنوسى ملكا على ليبيا فى عام ١٩٥٠م.

القنصلية البريطانية العامة
طرابلس، ٣ نوفمبر سنة ١٨٨٣م

سيدى اللورد..

أخبرنى الوالى بصفة خاصة أن خطابا من المهدى فى السودان يدعو فيه المسلمين الى الجهاد وقد وقع فى أيدى السلطات المحلية فى فزان وسلم الى الحكومة هنا. وقال بأن سعادته سيرسل الوثيقة الى الباب العالى وأخبرنى بأن لديه من الأسباب مايجعله يعتقد بأن مبعوثى المهدى ذهبو الى تونس والجزائر لمهمة مماثلة.

وقد أكد الوالى بأن لايجب أن يعلم أحد بأنه أعطانى هذه المعلومات.

هذا واذا تمكنت من الحصول على مزيد من المعلومات حول هذا الموضوع فلن أتوانى عن تزويدكم بها.

ويشرفنى أن أتقدم اليكم بعظيم احترامى.

إلى سيدى اللورد
خادمكم المطيع جدا
توقيع

القنصلية البريطانية العامة
طرابلس، ٩ نوفمبر سنة ١٨٨٣م

سيدى اللورد..

إيماء الى برقيتى السياسية رقم ٢ المؤرخة ٣ الجارى يشرفنى أن أبعث الى مقام اللورد

بأن الوالى أخبرنى أنه نقل الى الباب العالى الخطاب الذى استولت عليه السلطات الخاص بالمهدى والذى أمر الوالى بترجمته ومنه علمنا بأن المهدى يمثل نفسه على أنه المهدى المنتظر أو منقذ الأسلام وأشار فيه بأن المسلمين قد ابتعدوا تماما عن الأيمان الحقيقى ويدعو المؤمنين الحقيقيين أن يضعوا أنفسهم تحت رايته. وأخبرنى سعادته بأن ادعاءات المهدى تشكل خطرا على حكومته إذا ماقوبلت بعدم اهتمام من جانب أغلبية المسلمين بما فيهم مسلمى هذا القطر وفى الداخل وبأن الأعتقاد يتزايد بأنه محتال.

ويشرفنى أن اتقدم لكم بعظيم احترامى..

سيدى اللـــورد
خادمكم المطيع
توقيع

عبد الملك بن مروان وقبة الصخرة

وكثيرا ماقلت انى أفرح بالخطأ يهدينا إلى الصواب يعطينا فرحة بالقارىء يقرأ وهو جالس يترك القراءة التى يحترفها المستعجلون ينظرون نظرة وهم يمشون كأنما المقال فى المجلة وجبة غذاء يشتريها ماشيا ويأكلها ماشيا وينساها حين يرمى الغلاف.

إن الاستاذ القارىء «احمد مصطفى التنيخى» الذى أتحفنا بهذا النقد دل على عمق مطالعته للمقال، ولعله إن سار فى هذا السبيل أن يدلنا بعد على عمق اطلاعه .

لعله أكبر عبد الملك بن مروان – وهو كبير ولاشك – فجزع أن يوصف بأنه جفا البيت الحرام يصبح فى العاقين الذين عقوا مسقط رأسهم وموطن عزهم البطحاء مكة. وحاشى أن يكون عبد الملك عاقا لمكة موطنه وموطن آبائه وأجداده فلو كان ذلك كذلك لما احتفى ببناء الكعبة يهدم بناء ابن الزبير على قواعد قريش ويبنيها على قواعد ابراهيم كما تركها رسول الله ﷺ .

لعل بعض الذين يتزيدون بالقربى لدى الملوك أحبوا لأنفسهم أن تكون الصخرة بدل الكعبة فاشاعوا الزيف أمسك به المبغضون والمزيفون ومالنا نمسك به الآن أفلازلنا بعد نخوض حرب العبشميه والهاشمية.

إن عبد الملك بن مروان يوم رأى عضة جيش يزيد فى وقعة الحرة إستعبر يبكى وقال ليتنى أكون عند أبى خبيب يعنى عبد الله بن الزبير يكون معه. منشقا على يزيد، ولكن الفرصة التى أتاحت لابيه مروان أن يكون الوريث لملك بن أميه والحفيظ عليه لتنتظم الجماعة مرة أخرى ولئلا يكون ملك بنى أمية عاريا من سلطانه على الحجاز.

إن عبد الملك فى علمه وجلالة قدره بعيد أن يوصف بأنه يهدر حق الكعبة وهو يعرف أن الله أهلك أبرهه الذى أراد أن يبنى كعبة فى اليمن تنافس الكعبة فى مكة.

«المجلة قد إحتفلت بهذا النقد فأعد مكتبها هذا البحث تعليقا على ذلك.

وصلت الى المجلة مكاتبة من القارىء الكريم السيد/ «احمد مصطفى التنيخي» بشأن مقال ورد فى العدد الأول للسنة السابعة / شوال ١٤٠١هـ من مجلة الدارة تحت عنوان (قبة الصخرة) للاستاذ يحي مصطفى عبد المجيد ينقد فيها القارىء قول كاتب المقال بأن (قبة الصخرة هى المبنى الاسلامى الوحيد الذى صمم ليكون مزارا، وجاء تصميم المبنى على هذا الشكل ليلائم الطواف حول الصخرة المشرفة)، ويقول القارىء بأن هذا المعنى قد تكرر فى نفس المقال إذ جاء فى موضع آخر منه (فأمر عبد الملك بن مروان ببناء قبة الصخرة ليمنع المسلمين من زيارة الكعبة ويستبدلها بالصخرة المشرفة لارتباط المسلمين الوثيق بها).

وقد رفض القارىء هذا الرأى إستنادا إلى أنه لايتصور أن يخطر فى بال خليفة للمسلمين فى القرن الأول الهجرى – وهو خير القرون – أن يحول إهتمام المسلمين عن كعبتهم المشرفة : بيت الله الحرام وقبلتهم التى يتعبدون الله بزيارتها والطواف حولها.

ويذكر القارىء أيضا أن كاتب المقال قد أخذ هذا الرأى عن كتاب للدكتور كمال الدين سامح عنوانه «فى العمارة الاسلامية» طبعة معهد الدراسات الاسلامية بالقاهرة ١٩٧٤م، ويرى القارىء أن الدكتور «كمال الدين سامح» نفسه قد يكون ناقلا لهذا الرأى عن بعض المستشرقين الصليبيين.

ونضيف نحن أن كاتب المقال قد نقل هذا الرأى كذلك عن مقال للدكتور «احمد كمال عبد الفتاح» نشر فى مجلة «البناء» عدد ربيع أول – ربيع ثانى ١٣٩٩هـ علىٰ ص ٤٢ منها.

والحق أن كاتب المقال قد بذل جهدا كبيرا فيما يتعلق بالناحية المعمارية أما فيما يتعلق بمثل هذه الحقائق التاريخيه ذات الخطوره فهى جديرة بالمناقشة وبشىء من التمحيص يمكننا أن نقول – ونحن مطمئنون – أن هذا الزعم لم تثبت صحته للاسباب الآتية على الاقل:

أسباب دينيه :

- ان عبد الملك بن مروان قبل أن يتولى الخلافة كان من اكثر الناس مراجعة للقرآن وحرصا على أداء الشعائر الدينية فى المساجد حتى لقد عرف بلقب «حمامة المسجد». ومن كان هذا دأبه فانه يعلم بالقطع المكانة المشرفة التى أعطيت لمكة، والتى لاتفوقها مكانة لأية بقعة أخرى مهما كانت مقدسة عند المسلمين.

- أنه حتى فى أثناء فترة ابن الزبير كان لبنى أمية لواء يحجون فى ظلة (أنظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ص ٧٥ س ١٦ ومابعده)

أسباب سياسيـــة :

- انه كان لبنى أمية خصوم سياسيون كثيرون يهمهم تشويه سمعتهم مثل الشيعة والخوارج، وذلك إلى جانب من قاموا بفتن أيام عبد الملك مثل المختار الثقفى وابن الزبير.. بمعنى أنه حتى فى صفوف المؤرخين المسلمين أنفسهم من كانوا متعاطفين مع أعداء بنى أمية.

- أن بعض المستشرقين فى العصور الحديثة لم يخل من نزعة صليبية أو صهيونية تجعلهم يدسون على الاسلام وعلى تاريخه مثل تلك الاقوال وللأسف أن بعض المؤرخين العرب قد أخذوا عنهم إما عن غفلة وإما عن عدم تحر كاف».

والأقرب إلى العقل هو قول « المقدسى » فى أحسن التقاسيم ص ١٥٩ بأن سبب بناء عبد الملك لمسجد قبة الصخرة هو الا يترك المسلمين يبهرون ببناء كنيسة القيامة.

ونحن نؤيد «الدكتور عبد المنعم ماجد» فى كتابه «التاريخ السياسى للدولة العربية ج ٢، العصر الاموى، الطبعة الرابعة، القاهرة ١٩٧١» ص ١٨٩، ١٩٠ فى رفضه لهذا القول فهو يرى أنه ليست لدينا أية إشارة عن ذلك فى سيرة عبد الملك بن مروان.

وبعد فالله أعلم وعليه التوفيق.

رئيـس التحريـر

شيْخان مُن الدّارة

الأستاذ: محمد حسين زيدان

رئيس التحرير

هما الدكتور ابراهيم جمعة والأستاذ شحاته عبد الله محفوظ من أوائل من كانوا رواداً حين تأسست دارة الملك عبد العزيز.

فقد صنع لها الدكتور ابراهيم جمعة الأطلس التاريخي والخرائط التاريخية (المضيئة) التى تناولت مراحل إتساع الدولة السعودية منذ نشأتها الأولى وغير ذلك من الأعمال.

وحين عرفته وجدت أثره وتأثيره في كل ما صنع بل وفي كل الذين صنعوا معه: كلهم أجله وأحترمه. وإذا ما رأيت باحثا في أي معهد يحترم الموجه له فانك لتشعر بأن الموجه كأستاذ معلم والموجه كأستاذ يتعلم لابد أن يصنع كل منهما الطيب يرتفع به البناء.

فأول ما رأيت الأطلس قلت إن كل حرف فيه في كل سطر من أسطره نغم موسيقى كأنما الحروف أوتار عود، والأسطر سبيب الربابة. وما غابني

أن يجد فيه الباحثون خطأً بل من كمال العمل الإحاطة بكل ما ينبغى له، ويعني هذا أن الخطأ لم يأت إلا عن طريق الطلب للكمال.

عرفت الأستاذ ابراهيم جمعة رضيا ولو إشتد غضبته حينا، حفيا بالدارة ولو أغاظه بعض مالم يكن يتوقع، ولكني – والحق أقول – أني في هذا الاحتفاء به مدين لتقدير معالى وزير التعليم العالي ورئيس مجلس الادارة لدارة الملك عبد العزيز فمعاليه لم يدخر وسعا في أن يريح الدكتور ابراهيم جمعة بما يرضيه معنويا قبل أن يكون ماديا.

إن الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ في كل ما حباه للدارة فانما ذلك من تقديره لها بتقدير العاملين فيها.

إن الدكتور ابراهيم جمعة لم يكن فقيد أسرته بقدر ماهو فقيد أسرة دارة الملك عبد العزيز.

أما الأستاذ الثاني فهو الأستاذ شحاته عبد الله محفوظ وقد عمل مترجما من اللغة الانجليزية. ولكنه لم يكن مجرد مترجم الحرف واللفظ وإنما كان عالما وباحثا تزدان ترجمته بفهم الموضوع فليس هو من المترجمين الذين أشبه ما يكونون بكتاب الآلة وعمال اللاسلكي. وقد تكون له وجهة نظر عز الوصول اليها لبعده عن الدارة لإنتهاء عقده ولاستحالة الحوار معه فالنظرة الى أي عمل قد تكون التقدير له ذاتيا، ولكنْ ينبغى أن يكون التقدير له بالملابسات التي أحاطت بأداء العمل.

إن الأستاذ شحاته قد أدى واجبه وقام ببعض الخدمات المقدرة له كالحصول على بعض الدوريات التى تم التحفظ عليها الى أجلها.

ولإن توفاه الله فان عمله سيبقى حيا بالتقدير له، أو حتى بالنقد عليه فالحياة في الدارة يجب ألا تأخذ كل شيء بالقبول فمن الكفاءة أن يكون التقييس، ومن الكفاءة الخلقية ألا ينكر التقدير.

محمد حسين زيدان